العمل الموجّه الثّامن

التجديد الشعري المهجري إيليا أبو ماضي

كُن بَلسَماً إن صارَ دَهرُكَ أَرقَما ... وَحَلاوَةً إن صارَ غَيرُكَ عَلقَما

إنَّ الحَياةَ حَبَتكَ كُلَّ كُنوزِها ... لا تَبخَلَنَّ عَلى الحَياةِ بِبَعضِ ما

أَحسِن وَإِن لَم تُجزَ حَتّى بِالثَنا ... أَيَّ الجَزاءِ الغَيثُ يَبغي إِن هَمى

مَن ذا يُكافِئُ زَهرَةً فَوّاحَةً ... أَو مَن يُثيبُ البُلبُلَ المُتَرَنِّما

عُدَّ الكِرامَ المُحسِنينَ وَقِسهُمُ ... بِهِما تَجِد هَذَينِ مِنهُم أَكرَما

يا صاحِ خُذ عِلمَ المَحَبَّةِ عَنهُما ... إِنّي وَجَدتُ الحُبَّ عَلَماً قَيِّما

لَو لَم تَفُح هَذي وَهَذا ما شَدا ... عاشَت مُذَمَّمَةً وَعاشَ مُذَمَّما

فَاِعمَل لِإِسعادِ السِوى وَهَنائِهِم ... إِن شِئتَ تُسعَدَ في الحَياةِ وَتَنعُما

أَيقِظ شُعورَكَ بِالمَحَبَّةِ إِن غَفا ... لَولا الشُعورُ الناسُ كانوا كَالدُمى

أَحبِب فَيَغدو الكوخُ كَوناً نَيِّراً ... وَاِبغُض فَيُمسي الكَونُ سِجناً مُظلِما

ما الكَأسُ لَولا الخَمرُ غَيرُ زُجاجَةٍ ... وَالمَرءُ لَولا الحُبُّ إِلّا أَعظُما

كَرِهَ الدُجى فَاِسوَدَّ إِلّا شُبهُهُ ... بَقِيَت لِتَضحَكَ مِنهُ كَيفَ تَجَهَّما

لَو تَعشَقُ البَيداءُ أَصبَحَ رَملُها ... زَهراً وَصارَ سَرابُها الخَدّاعُ ما

لَو لَم يَكُن في الأَرضِ إِلّا مِبغِضٌ ... لَتَبَرَّمَت بِوُجودِهِ وَتَبَرَّما

لاحَ الجَمالُ لِذي نُهىً فَأَحَبَّهُ ... وَرَآهُ ذو جَهلٍ فَظَنَّ وَرَجَّما

لا تَطلِبَنَّ مَحَبَّةً مِن جاهِلٍ ... المَرءُ لَيسَ يُحَبُّ حَتّى يُفهَما

وَاِرفُق بِأَبناءِ الغَباءِ كَأَنَّهُم ... مَرضى فَإِنَّ الجَهلَ شَيءٌ كَالعَمى

وَإِلهُ بِوَردِ الرَوضِ عَن أَشواكِهِ وَإِنسَ العَقارِبَ إِن رَأَيتَ الأَنجُما

يا مَن أَتانا بِالسَلامِ مُبَشِّراً هَشَّ الحِمى لَمّا دَخَلتَ إِلى الحِمى

وَصَفوكَ بِالتَقوى وَقالوا جَهبَذٌ عَلامَةٌ وَلَقَد وَجَدتُكَ مِثلَما

لَفظٌ أَرَقُّ مِنَ النَسيمِ إِذا سَرى سَحَراً وَحُلوٌ كَالكَرى إِن هَوَّما

القصيدة نموذج لكيفية تجديد إيليا أبو ماضي في مدرسة المهجر من خلال:

- مواضيع إنسانية وفلسفية جديدة تركز على التفاؤل والحب.
- لغة واضحة بسيطة لكنها عميقة مع توظيف المعجم الطبيعي.
- تقديم موقف شعري جديد يدعو إلى المحبة والرحمة والتسامح بدلاً من القدامة والجمود.
- الوحدة الموضوعية: حيث تدور القصيدة حول موضوع واحد.
- الوحدة العضوية
- تتمركز القصيدة حول الذّات الإنسانية.

من هو إيليا أبو ماضي:

سيرته وحياته

وُلد إيليا بن ضاهر أبو ماضي سنة 1889 في قرية المحيدثة بلبنان في أسرة فقيرة التعليم والموارد، وتلقّى في طفولته تعليماً ابتدائياً محدوداً في مدرسة كنسية قريبة. هاجر إلى مصر شاباً عام 1902 للعمل مع عمه في تجارة التبغ، وهناك انفتح على الصحافة والكتب والبيئة الأدبية في الإسكندرية والقاهرة، وبدأت موهبته الشعرية تتبلور.

الهجرة إلى أمريكا وأدب المهجر

غادر مصر عام 1912 إلى الولايات المتحدة بسبب ظروف اقتصادية وسياسية، واستقر أولاً في سنسناتي ثم انتقل عام 1916 إلى نيويورك حيث انخرط في الوسط الأدبي العربي المهاجر. شارك مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وآخرين في تأسيس «الرابطة القلمية» التي باتت رمزاً لأدب المهجر الشمالي وتجديد القصيدة الحديثة.

عمله الصحفي ومجلة «السمير»

اشتغل بالصحافة في جريدة «مرآة الغرب» وغيرها قبل أن يؤسس عام 1929 مجلة «السمير» في نيويورك، ثم تحولت لاحقاً إلى جريدة تحمل الاسم نفسه. غدت «السمير» منبراً رئيساً لأدباء المهجر تنشر نتاجهم شعراً ونثراً، كما تعد مصدراً أولياً لتتبّع تطور تجربة أبو ماضي الفنية والفكرية

ملامح تجربته الشعرية

يصنَّف أبو ماضي من شعراء المهجر الذين نقلوا القصيدة من أسر المحاكاة والموضوعات التقليدية إلى أفق التأمل الفلسفي والتصوير الوجداني للطبيعة والإنسان. يتسم شعره بنبرة تفاؤلية وإنسانية، ويميل إلى تمجيد العمل والحياة والجمال، مع نزعة تأملية في الوجود والقدر ومعنى السعادة.

دواوينه وأعماله البارزة

من أهم دواوينه «تذكار الماضي» (1911) الذي صدر في مصر وفيه مزيج من الغزل والسياسة والموضوعات الوطنية في إطار رومانسي تقليدي. ثم صدرت دواوينه المهجرية مثل «إيليا أبو ماضي» (نيويورك 1918)، و«الجداول»، و«الخمائل»، و«تبر وتراب»، وهي التي كرّسته شاعراً فلسفياً إنسانياً محباً للطبيعة. جُمعت أعماله لاحقاً في طبعات شاملة مثل «الأعمال الشعرية الكاملة» بتحقيق عبد الكريم الأشتر.

علاقته بفلسطين وقضايا عصره

ارتبط شعر أبي ماضي مبكراً بقضية فلسطين، وكانت حاضرة في وجدانه ونصوصه بوصفها جرحاً قومياً وإنسانياً. كما تناول في شعره قضايا اجتماعية وحياتية عامة، منتقداً التعصب والبؤس والفقر وداعياً إلى المحبة والتسامح والعمل والأمل.

تقييم النقاد لمكانته

رغم الانتشار الواسع لشعره وتلقّي الجمهور له بحفاوة، تعرّض أبو ماضي لنقد بعض معاصريه الذين رأوا في لغته شيئاً من البساطة المفرطة أو الركاكة قياساً بفحول

الكلاسيكيين. ومع ذلك يكاد النقاد يجتمعون على أنه من الأصوات التي قرّبت الشعر الحديث من الإنسان العادي، ورسّخت النزعة الإنسانية والتأملية في القصيدة العربية المعاصرة.

وفاته وإرثه

توفي إيليا أبو ماضي في نيويورك في 23 نوفمبر 1957 بعد أن أمضى معظم حياته العملية والأدبية في المهجر الأمريكي. ترك وراءه إرثاً شعرياً مؤثراً ظلّت قصائده تُقرأ وتحفظ وتُدرّس في العالم العربي، خاصة ما حمل منها رسائل التفاؤل والدعوة إلى المحبة والنظر الإيجابي إلى الحياة.

ماهي جماعة الرابطة القلمية

الرابطة القلمية هي جماعة أدبية تأسست رسمياً في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1920 على يد نخبة من الأدباء المهاجرين السوريين واللبنانيين، من أبرزهم جبران خليل جبران (عميد الرابطة)، ميخائيل نعيمة (مستشار)، إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، رشيد أيوب، وليم كاتسفليس، عبد المسيح حداد وندرة حداد.

أهداف الرابطة القلمية

- جمع أدباء المهجر وتوحيد جهودهم الأدبية والإبداعية في خدمة اللغة العربية وآدابها في بلاد الاغتراب.
- التجديد في القصيدة العربية من حيث المضمون والشكل، والابتعاد عن التقليد والمحاكاة.
- نشر النزعة الإنسانية، والانفتاح على قضايا الإنسان الشاملة، والتعبير عن مشاعر الغربة والأمل والتفاعل مع المجتمع الغربي.
- دعم إنتاج الأدباء عبر النشر في المجلات والصحف التي أصدروها مثل مجلة «الفنون» (نسيب عريضة)، جريدة «السائح» (عبد المسيح حداد)، ومجلة «السمير» (إيليا أبو ماضي).

دورها في النهضة الأدبية

- أحدثت جماعة الرابطة القلمية نقلة كبرى في الشعر العربي الحديث، إذ مزجت بين روح الشرق وجماليات الغرب، وفتحت مجال التجريب والتأمل الفلسفي وجعلت القيم الإنسانية محور الشعر العربي في المهجر.

استمرت الرابطة حتى تفككت بعد وفاة جبران خليل جبران عام 1932، لكنها ظلت رمزاً لتجديد الأدب المهجري وتأثيره في الأدب العربي الحديث.

ما أبرز سمات شعر إيليا أبو ماضي وموضوعاته

تميز شعر إيليا أبو ماضي بسمات فنية وإنسانية رفيعة، وبموضوعات متنوعة تجمع بين التأمل الفلسفي وحب الطبيعة والدعوة إلى الأمل والقيم الإنسانية.

أبرز السمات الفنية لشعره

- الميل إلى التفاؤل وحسن الظن بالحياة، ونبذ التشاؤم واليأس.
- العناية بالمعنى ووضوح الفكرة، والابتعاد عن التعقيد اللفظي.
- استعمال الرمز والتشبيه، وإثراء الصور الشعرية بطرافة الخيال واستلهام عناصر الطبيعة.
- التنوع في البناء الشعري وعدم التقيد بنظام القصيدة التقليدية (العمودية).
- النزعة التأملية في الذات والوجود والأسئلة الفلسفية حول الإنسان والمصير والسعادة.
- حضور العاطفة الصادقة في التعبير عن الوطن والحنين إليه، وعن الحب والمرأة والأسرة.

أهم موضوعات شعره

- التأمل في الطبيعة والإعجاب بجمالها كرمز للنقاء والصفاء، كما في قصائد مثل "أيلول الشاعر" و"الفراشة المحتضرة".
- الدعوة إلى التفاؤل والعمل والأمل في الحياة، ونصح الإنسان بالابتسام رغم الصعوبات، كما في قصيدة "ابتسم".
- مدح الصفات الإنسانية كالتسامح، والسعي للخير، ونبذ التعصب والشر.
- نقد الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي والدعوة إلى التحلي بالقيم والمُثل العليا.
- الحنين للوطن والغربة وهموم المهاجرين وتعبير عن التجربة الوجدانية في المهجر.

- قضايا فلسفية حول معنى الحياة والموت والوجود والقدر والحظ والسعادة.

يربط النقاد هذه السمات بتأثر أبو ماضي بأدب المهجر والمناخ الثقافي في أمريكا الشمالية بالإضافة إلى جذوره العربية والرومانسية. وبفضل هذه الخصائص، قَرَّبَ الشعر إلى الناس، وجعل القصيدة مساحة لتأمل الإنسان العادي في واقعه وحياته.